اِطْبَعْ فَمَكَ عَلَى فَمِي، وَلَكِنْ دَعْ لِسَانِي طَلِيقًا لِأُحَدِّثَكَ عَنِ الْحُبِّ

[مُنتَخَبَاتٌ مِنْ لَانْدَايْ الْبَشْتُونِيَّاتِ]

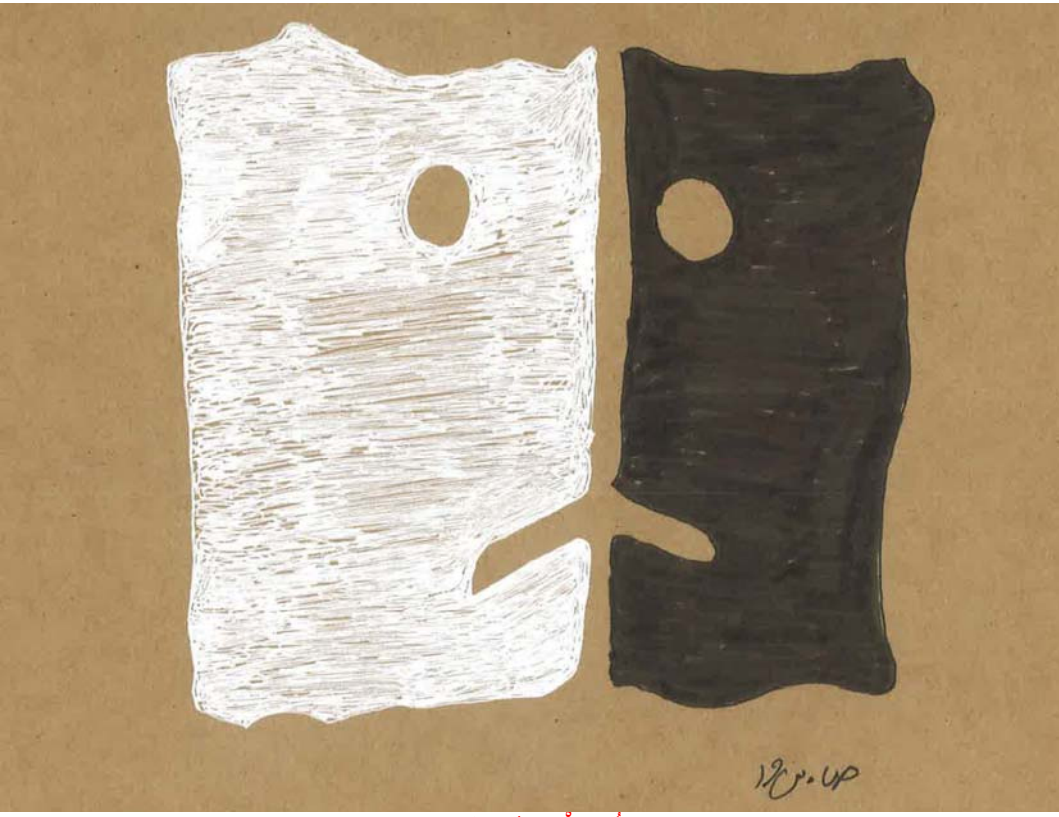

ترْجَمَةُ وَتقْدِيمُ: رَشِيد وَحْتِي

رُسُومَاتُ: صَفَاء سَالِم إِسْكَنْدَر

خَاصٌّ بِمَوْقِعِ لَازَوَرْد

I. مفاتيح للقراءة:

1. البَشتو من لغات الفرع الهندوإيراني، ضمن مجموعة اللغات الهندوأوربية. ينطق بها سكان الجنوب والجنوب الشرقي من أفغانستان (حيث تُعتبَر لغةً رسمية، إلى جانب اللغة الدَّارِيَّة، في الإدارة كما في الشأن الديبلوماسي) وشمال باكستان. ويصل التِّعداد الإجمالي للناطقين بها إلى 45 مليون شخصا. تُكتَبُ هذه اللغة بالأبجدية العربية المُعَدَّلة والمطوَّرة، وتتفرع إلى لهجتين رئيستين: قندهارية وپيشاوارية. كعِرقٍ، ينتشر البَشتون في إيران وكشمير وطادجيكستان.

2. تستند حركة طالبان للعقيدة المَاتُريدِيَّةُ، الجامعة بين التصوف السني والمذهب الحنفي، مما يجعلها في تضاد مع الحنبلية وفرعها الوهابي الذي يكفِّرُها، رغم أن آل سعود وتنظيم القاعدة تقاطعت معهما أيام الصراع مع السوفييت. تمسكها المحلي بهويتها الوطنية والقومية يفتح لها نوافذ

كثيرة للتواصل مع الهزارة (الشيعة الأفغان) والطادجيك الأفغان، وربط أواصر بعيدة عن العداء مع إيران وروسيا والصين.

3. اللَّانْدَايْ شكلٌ شعري شفوي أفغاني يتكون من بَيْتَيْنِ في 9 و13 مقطعا صوتيا، وغالبا ما يُغَنَّى بصوت مرتفع، ويشاع أن البدو الرُّحَل الهنود هم من أدخله إلى أفغانستان. وتعني هذه الكلمة بالپشتونية: أفعى صغيرة سامة؛ ربما بسبب السخرية والنقد وشحنة الاحتجاج الاجتماعي التي يحويها هذا النوع الشعري. قد يكون اللانداي معزولا بيتين بيتين؛ وقد يكون، كالغزلية الفارسية، مجموعة أبيات — في قصيدة طويلة — منفصلة نحويا، متصلة من حيث وحدة الموضوعة.

II. مَدَاخِلُ

1. القصيدة سيفٌ. (سهيرة شريف: رئيسة الدائرة الشعرية لنساء كابُل).

2. اللانداي وقفٌ على النساء. الشعر هو الحركة الحميمية للنساء. (صفية صدِّيقي: شاعرة بشتونية وبرلمانية سابقة).

3. تَعَلَّمنا، كنساء، خلال العشرين سنةً الماضية، كيف نَشربُ كالغزلان مِنْ بِرْكَةٍ مليئة بالتماسيح. (ويدا ساغري، ناشطة حقوقية نسائية أفغانية).

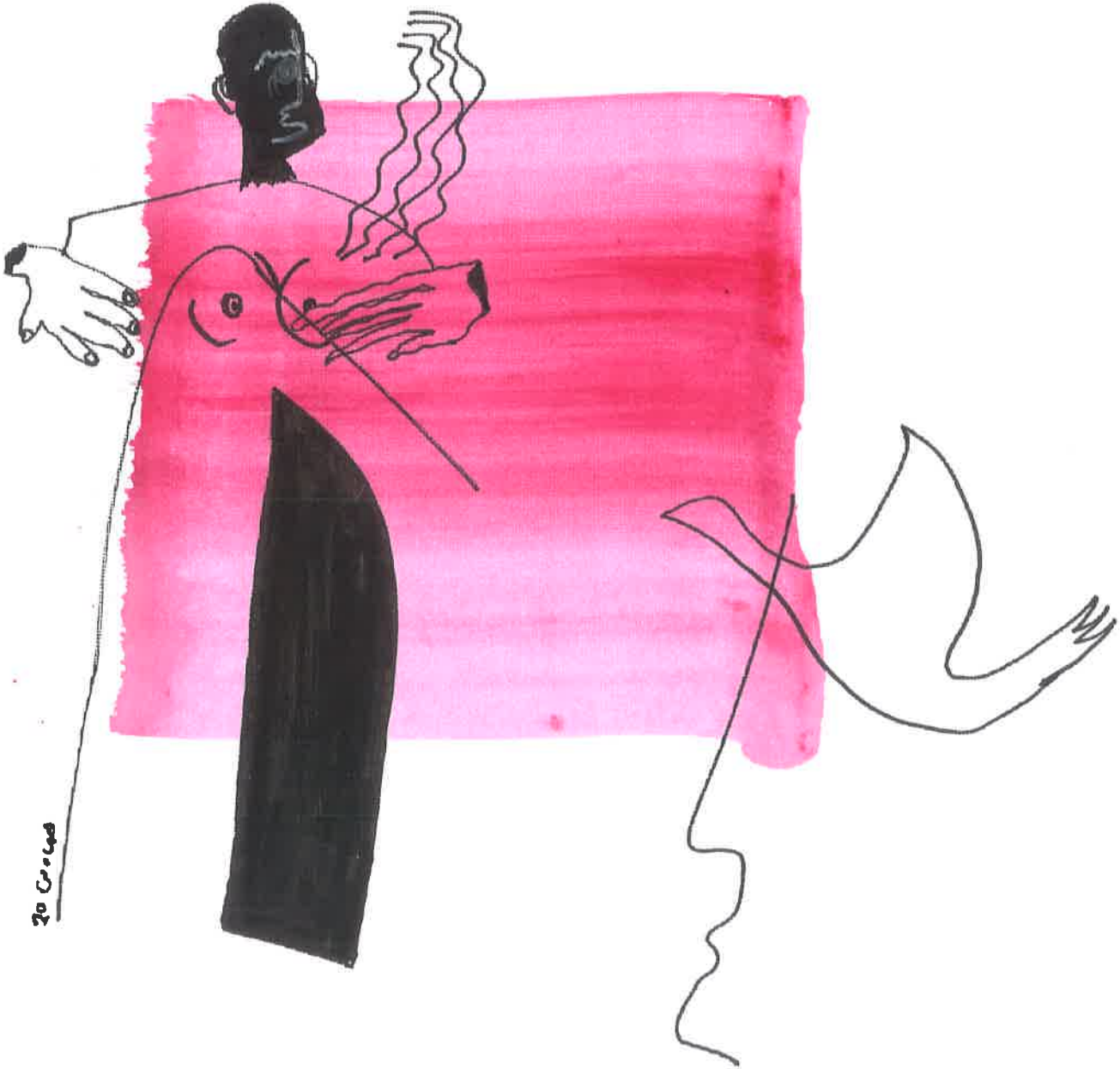

III. منتخبات شعرية

1. فِي مَعْرَكَةِ مَايْوَانْدْ، سَنَةَ 1880، عِنْدَمَا انْهَزَمَتِ الْقُوَّاتُ الْأَفْغَانِيَّةُ ضِدَّ الْإِنْكْلِيزِ، يُحْكَى أَنَّ إِحْدَى الْبَطَلَاتِ الْپَشْتُونِيَّاتِ، وَكَانَ اسْمُهَا مَالَالَايْ، تَنَاوَلَتِ اللِّوَاءَ الْأَفْغَانِي مِنْ جُنْدِيٍّ سَقَطَ صَرِيعًا، وَصَرَخَتْ بِهَذَا اللَّانْدَايْ: — أَيْ حَبِيبِي، أَيْ فَتًى، إِذَا لَمْ تَسْتَشْهِدْ فِي مَعْرَكَةِ مَايْوَانْدْ، سَتَبْقَى، وَرَبِّ الْعِزَّةِ، رَمْزًا لِلْعَارِ.

2. بِعْتَنِي، أَبَتِي، لِرَجُلٍ عَجُوزٍ؛ خَرَّبَ اللهُ بَيْتَكَ، فَقَدْ كُنْتُ ابْنَتَكَ. [آخِرُ لَانْدَايْ قَرَأَتْهُ زَارْمِينَا، عَلَى أَمْوَاجِ إِذَاعَةٍ، قَبْلَ أَنْ تَنْتَحِرَ].

3. سَتَكُونُ ذِكْرَاهَا زَهْرَةً مُثَبَّتَةً عَلَى عِمَامَةِ الْأَدَبِ؛ كُلُّ شَقِيقَةٍ، فِي عُزْلَتِهَا، تَبْكِيهَا. [فِي رِثَاءِ زَارْمِينَا].

4. اَلْحُوشُ، لَيْلًا، مُعْتِمٌ ؛ وَالْأَسِرَّةُ كَثِيرَةٌ جِدًّا. سَتُرْشِدُكَ، أَيْ حَبِيبِي، جَلْجَلَةُ دَمَالِيجِي، إِلَى مَخْدَعِي.

5. سِرًّا، أَحْتَرِقُ؛ سِرًّا، أَبْكِي؛ أَنَا الْبَشْتُونِيَّةُ الَّتِي لَا تَجْرُؤُ عَلَى الْبَوْحِ بِحُبِّهَا.

6. تَعَالَ، أَيْ حَبِيبِي، قُرْبِيَ، اجْلِسْ، لِلَحْظَةٍ؛ فَالْحَيَاةُ شَفَقُ مَسَاءٍ شَتْوِيٍّ يَمْضِي سَرِيعًا.

7. اَلْيَوْمَ، فِي لُجَّةِ الْمَعْرَكَةِ، أَدَارَ حَبِيبِي ظَهْرَهُ لِلْعَدُوِّ؛ أَحْسَسْتُ بِمَهَانَةِ أَنِّي قَبَّلْتُهُ مَسَاءَ أَمْسِ.

8. إِذَا كُنْتَ، أَيْ حَبِيبِي، تَرْتَجِفُ، بَيْنَ ذِرَاعَيَّ، كَثِيرًا؛ فَكَيْفَ سَتَفْعَلُ إِذَا انْقَدَحَتْ مِنْ صَلِيلِ السُّيُوفِ أَلْفُ وَمْضَةٍ؟

9. كَجُلْجُلَةٍ، بِكُلِّ حِلْيَتِي، سَأَرِنُّ، حَتَّى أَعْمَاقِ اللَّيْلِ، بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ.

10. أَيُّهَا الْفِرَاقُ، أَبْتَهِلُ لِلْإِلَهِ كَيْ تَمُوتَ فَتِيًّا؛ فَأَنْتَ مَنْ أَضْرَمَ النَّارَ فِي بَيْتِ الْعُشَّاقِ.

11.لِتَسْقُطْ طَائِرَتُكَ، وَلْيَمُتِ الرُّبَّانُ؛ بِسَبَبِ الْقَنَابِلِ الَّتِي تُغِيرُونَ بِهَا عَلَى أَفْغَانِسْتَانِي الْحَبِيبَةِ.

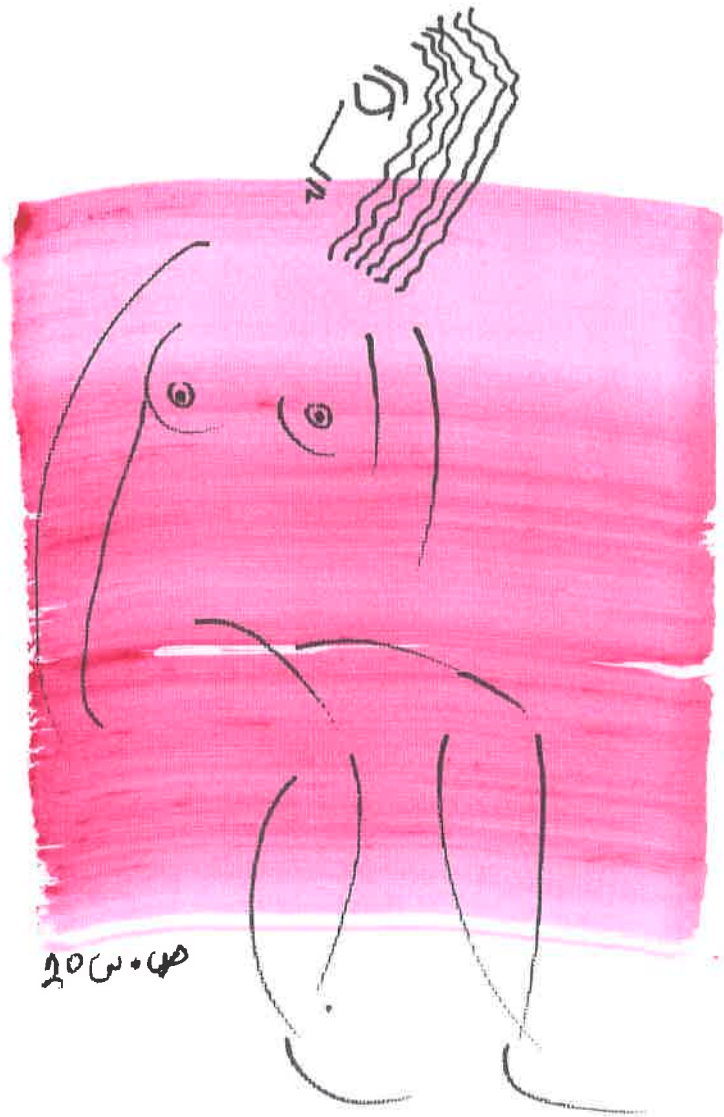

12. أَنْتَ لَا تَسْمَحُ لِي بِالذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، فَلَنْ أَصِيرَ طَبِيبَةً. تَذَكَّرْ هَذَا: سَتَقَعُ، ذَاتَ يَوْمٍ، مَرِيضًا.

13. اَلْعُشْبُ يَنْمُو فَوْقَ قَبْرِ الرَّجُلِ الْأَعْمَى؛ يَزْعُمُ الطَّالِبَانُ الْبُلَدَاءُ أَنَّهُ بَعْدُ حَيٌّ. [فِي ذَمِّ الْمُلَّا عُمَر].

14. وَهَبَ حَبِيبِي رَأْسَهُ لِوَطَنِنَا؛ بِشَعَرِي سَأَخِيطُ كَفَنَهُ.

15. لَوْعَاتِي تَنْمُو وَحَيَاتِي تَتَضَاءَلُ؛ سَأَمُوتُ وَالْقَلْبُ مُتْرَعٌ بِالْآمَالِ.

16. جَسَدِي وَرَقَةُ حِنَّاءٍ: أَخْضَرُ، مِنَ الدَّاخِلِ؛ بِحُمْرَةِ اللَّحْمِ، مِنَ الْخَارِجِ.

17. مُمَارَسَةُ الْحُبِّ مَعَ رَجُلٍ عَجُوزٍ: كَأَنَّكِ تَنِيكِينَ مَعَ سَاقِ ذُرَةٍ مُتَرَهِّلٍ، سَوَّدَتْهُ الْعُفُونَةُ.

18. هُنَا، يُقَاتِلُونَ الطَّالِبَانِ؛ وَهُنَاكَ، فِي السُّفُوحِ الْأُخْرَى مِنَ الْجِبَالِ، يُدَرِّبُونَهُمْ.

19. أَصْرُخُ، وَلَكِنَّكَ لَا تَسْمَعُنِي؛ سَتَبْحَثُ عَنِّي، ذَاتَ يَوْمٍ، وَلَنْ أَكُونَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ.

20. كَتُولِيبَةٍ، أَنَا، فِي الصَّحْرَاءِ. أَمُوتُ قَبْلَ أَنْ أَتَفَتَّحُ، وَتُبَدِّدُ سَمُومُ الصَّحْرَاءِ بَتَلَاتِي.

21. تُهْتَ مِنِّي، أَمْسِ، عِلَى فَيْسْبُوكْ؛ سَأَعْثُرُ عَلَيْكَ، الْيَوْمَ، عَلَى غُوغْلْ.

22. أَنَا، فِي حُلْمِي، رَئِيسُ الدَّوْلَةِ؛ وَفِي يَقَظَتِي، شَحَّاذَةُ الْعَالَمِ.

23. أَوْلِجْ يَدَكَ دَاخِلَ رَافِعَةِ نَهْدَيَّ؛ دَاعِبْ تُفَّاحَةَ رُمَّانَةٍ مِنْ قَنْدَهَارَ.

24. عَانِقْنِي فِي لَأْلَأَةِ الْقَمَرِ السَّاطِعَةِ؛ فَفِي عَادَاتِنَا، أَنْ نَأْتِيَ الْفَمَ فِي جَلَاءِ النُّورِ.

25. اقْفِزْ، أَيْ حَبِيبِي، فَوْقَ فِرَاشِي، وَلَا تَخَفْ شَيْئًا؛ وَحَتَّى إِذَا تَهَشَّمَ، فَإِنَّ الصَّغِيرَ الْبَشِعَ[1] هُنَا لِيُصْلِحَهُ.

26. كَشَمْعَةٍ، احْتَرَقْتُ، بَعِيدًا عَنْ حَبِيبِي، طَوَالَ اللَّيْلِ.

---

[1] كِنَايَةٌ، فِي شِعْرِ الْبَشْتُونِيَّاتِ، عَلَى الزَّوْجِ.

27. تَعَالَ سَرِيعًا، أَيْ حَبِيبِي، لِأُعْطِيَكَ فَمِي؛ فَقَدْ رَأَيْتُكَ، فِي حُلْمِيَ، اللَّيْلَةَ، مَيِّتًا، فَجُنِنْتُ.

28. أَسَرَّ لِي قَلْبِي: — لَا ذَنْبَ لِي فِي هَذَا؛ فَعَيْنَايَ، وَهُمَا تَسْتَرِقَانِ النَّظَرَ، جَعَلَتَانِي أَقَعُ فِي الْحُبِّ.

29. ثَمْلَانُ، لِأَنِّي ابْتَسَمْتُ لَكَ؛ سَتَصِيرُ، إِنْ مَنَحْتُكَ فَمِي، مَجْنُونًا مُهْتَاجًا.

30. جَعَلْتُ مِنْ صَدْرِي سَرِيرًا، وَحَبِيبِي الْمُنْهَكُ يَقْفُو طَرِيقًا طَوِيلًا نَحْوِي.

31. يَا لِلرَّبِيعِ، أَشْجَارُ الرُّمَّانِ مُزْهِرَةٌ؛ وَمِنْ بُسْتَانِيَ، سَأَحْفَظُ لِعَشِيقِي الْبَعِيدِ رُمَّانَتَيْ نَهْدَيَّ.

32. يَا لِلْقَبْرِ الْخَرِبِ، يَا لِلْآجُرَّاتِ الْمُشَتَّتَةِ، مَا عَادَ حَبِيبِي إِلَّا رَمِيمًا؛ وَرِيَاحُ السَّهْلِ تَنْثُرُهُ بَعِيدًا عَنِّي.

33. عُدْ لِي، مُخْتَرَمًا بِطَلَقَاتِ بُنْدُقِيَّةٍ غَادِرَةٍ؛ سَأَخِيطُ جِرَاحَكَ وَأُعْطِيكَ فَمِي.

34. هَاتِ، أَيْ حَبِيبِي، يَدَكَ؛ وَلْنَمْضِ فِي الْحُقُولِ، لِنَتَعَشَّقَ بَعْضَنَا الْبَعْضَ، أَوْ لِنَسْقُطَ مَعًا تَحْتَ ضَرَبَاتِ الْخَنَاجِرِ.

35. يَا لِهَذَا الدِّيكِ اللَّعِينِ وَصُيَاحِهِ الْمُعْلِنِ عَنِ الرَّحِيلِ؛ وَهَا حَبِيبِي يَنْصَرِفُ كَعُصْفُورٍ جَرِيحٍ.

36. اِطْبَعْ فَمَكَ عَلَى فَمِي، وَلَكِنْ دَعْ لِسَانِي طَلِيقًا لِأُحَدِّثَكَ عَنِ الْحُبِّ.

37. قَطَرَاتُ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ، عَلَى أَرْضِ الْمِيلَادِ، تُولِيپَاتٌ حَمْرَاءُ فِي رَبِيعِ الْحُرِّيَّةِ.

38. تَزَيَّنْتُ فِي مَلَابِسِي الرَّثَّةِ، كَبُسْتَانٍ مُزْهِرٍ فِي قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ.

39. تَعَالَ وَكُنْ زَهْرَةً عَلَى صَدْرِي؛ كَيْ أَسْتَطِيعَ، فِي كُلِّ صَبَاحٍ، إِنْعَاشَكَ بِقَهْقَهَةٍ.

40. أَيْ حَبِيبِي، أَيْ شَمْسِي، اسْتَيْقِظْ عَلَى خَطِّ الْأُفُقِ، وَامْحُ لَيَالِي مَنْفَايَ؛ فَعَتْمَاتُ وَحْدَتِي تَغْمُرُنِي مِنْ كُلِّ الْجُنُبَاتِ.

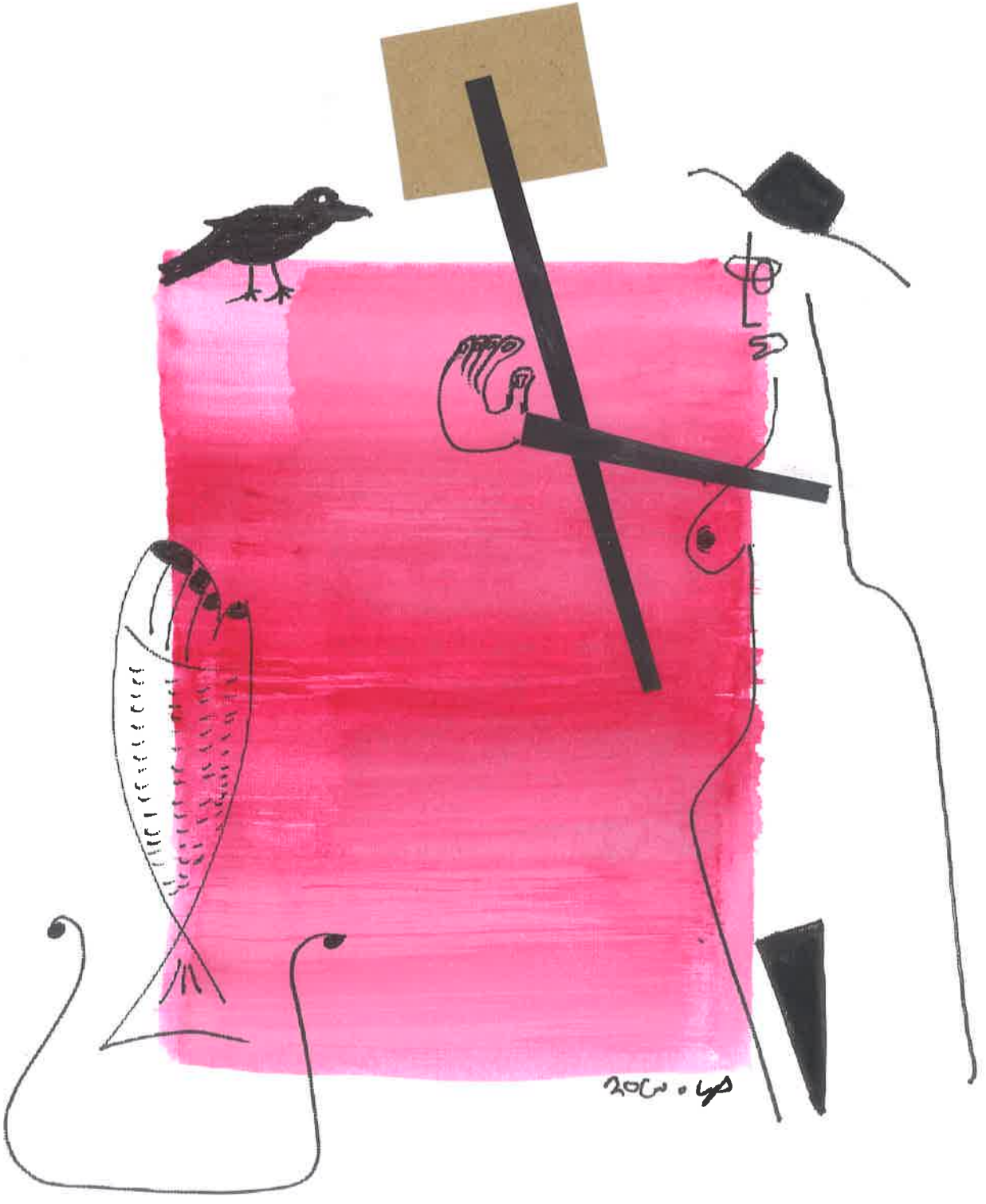

41. أَيُّهُمَا سَأَخْتَارُ، أُحَيْبَابِي؟ فَقَدْ حَلَّ الْحِدَادُ وَالْمَنْفَى مَعًا بِبَيْتِي.

42. إِذَا لَمْ تُثْخِنِ الْجِرَاحُ صَدْرَكَ، فَلَنْ أَكْتَرِثَ لَكَ؛ حَتَّى لَوِ اخْتُرِمَ ظَهْرُكَ كَمِصْفَاةٍ.

43. تَعَالَ، أَيْ حَبِيبِي، لِأَحْضُنَكَ؛ فَأَنَا اللَّبْلَابَةُ الْغَضَّةُ الَّتِي سَيَعْصِفُ بِهَا الْخَرِيفُ قَرِيبًا.

44. هَا قَدْ حَلَّ اللَّيْلُ، وَلَمْ تَصِلْنِي بَعْدُ؛ أَغْطِيَتِي مُلْتَهِبَةٌ وَتُحْرِقُنِي بِكَامِلِي.

45. حَبِيبِي مَيَّالٌ لِلْعَيْنَيْنِ اللَّازَوَرْدِ؛ وَلَا أَدْرِي أَيْنَ أَسْتَبْدِلُ عَيْنَيَّ اللَّتَانِ بِلَوْنِ اللَّيْلِ.

46. فَلْأَكُنْ لِحَبِيبِي، إِنْ مَاتَ، كَفَنًا؛ هَكَذَا سَنَتَزَوَّجُ الْغُبَارَ مَعًا.

47. إِتَاوَتُكِ، أَيْ أَرْضُ، بَاهِظَةٌ: تَلْتَهِمِينَ الْفُتُوَّةَ وَتَتْرُكِينَ الْأَسِرَّةَ قَفْرَاءَ.

48. بِيَدِي زَهْرَةٌ تَذْبُلُ؛ وَلَا أَدْرِي لِمَنْ، عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْغَرِيبَةِ، أُنَاوِلُهَا.

49. فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ، فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، أُحِبُّكَ. رَغْمَ التَّقَالِيدِ الْقَاتِلَةِ، أُحِبُّكَ. وَرِعٌ أَنْتَ، وَقُبَلُكَ صَلَوَاتٌ. مُخْتَلِفٌ أَنْتَ، وَقُبَلُكَ احْتِجَاجُكَ. لَسْتَ خَائِفًا مِنَ الْحُبِّ، وَلَا مِنَ الْأَمَلِ، وَلَا مِنَ الْغَدِ. أُقَبِّلُكَ وَسَطَ الطَّالِبَانِ، وَلَا تَرْتَجِفُ. (رَامِينْ مَزْهَرْ).

IV. المصادر

• Sayd Bahodine Majrouh: *Le suicide et le chant*, poésie populaire des femmes pashtounes, adaptée et présentée par André Velter, éd. Gallimard, 1994.

• James Darmesteter: *Chants populaires des Afghans*, Shams bookstore, 2002.